

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على محمد وآلـه الطيبين الطاهرين سـيـما خليفة الله في الأرضين ولـلـعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم أجمعـين، ولا حول ولا قـوـة إلا بالله العلي العظيم

مبادئ الاستنباط

تطوير واعادة صياغة للبحث الماضي

الظاهر ان الامور الاربعة الآتية بلوائحها، هي من شأن الشارع وان لم تكن من وظيفته^(١) والفقـيـه كذلك بالـتـبع فـقولـه حـجـة وـكـاـشـف وـلـازـم الـاتـبـاع تعـيـيـناً أو تـخـيـيـراً^(٢).

شوؤون الشارع امور اربعة:

والامور الاربعة هي:

أ- الأحكـام بـقـيـودـهـا

١- الأـحـكـام بـقـيـودـهـا^(٣) وـشـرـائـطـهـا وـمـوـانـعـهـا... الخ ، وذلك بـدـيـهـيـ فـانـ التـشـرـيعـ بـيـدـ الشـارـعـ الـاقـدـسـ وـحـدـهـ ، وـالـفـقـيـهـ مـسـتـنـيـطـ فـمـفـتـيـ.

ب- مـوـضـوـعـاتـ الـأـحـكـامـ بـمـاـ هـيـ مـوـضـوـعـاتـهـا

٢- مـوـضـوـعـاتـ الـأـحـكـامـ ، بـمـاـ هـيـ مـوـضـوـعـاتـ لـهـ ، وـمـنـ شـاـنـ الشـارـعـ بـلـ وـظـيـفـتـهـ تـحـفـظـاً عـلـيـ اـغـرـاضـهـ الـوـاقـعـيـةـ ، تـحـدـيـدـهـا اـمـاـ تـأـسـيـساً اوـ بـايـكـالـ تـحـدـيـدـهـا لـلـغـيـرـ ، وـمـنـ ذـلـكـ تـحـدـيـدـهـ لـلـسـرـقـةـ^(٤) وـ لـ (ـالـيـدـ)ـ فـيـ الـحـدـ وـ فـيـ الـوـضـوـءـ^(٥)ـ وـ تـحـدـيـدـهـ لـلـبـلـوغـ^(٦)ـ وـغـيـرـهـ.

ج- الحـجـجـ وـالـأـمـارـاتـ عـلـيـهـا

٣- الحـجـجـ وـالـأـمـارـاتـ عـلـيـ اـحـكـامـهـ وـمـوـضـوـعـاتـهـ ، فـاـنـهـ بـيـنـ تـأـسـيـسـ وـإـمـضـاءـ ، وـلـذـاـ جـعـلـ الـحـجـةـ عـلـيـ السـرـقـةـ الشـاهـدـيـنـ العـادـلـيـنـ ، وـعـلـيـ الرـزـنـاـ اـرـبـعـةـ شـهـودـ ، وـعـلـيـ الـمـلـكـ الـيـدـ وـهـكـذـاـ.

د- الـأـمـورـ الـدـنـيـوـيـةـ الـصـرـفـةـ

٤- المـوـضـوـعـاتـ الـدـنـيـوـيـةـ الـصـرـفـةـ ، مـاـ مـصـالـحـهـ وـمـفـاسـدـهـ دـنـيـوـيـةـ صـرـفـةـ لـاـ تـرـتـبـطـ بـالـآـخـرـةـ وـلـاـ بـجـهـةـ الـمـوـلـوـيـةـ ، بـلـ صـدـرـتـ مـنـ الشـارـعـ بـمـاـ هـوـ مـرـشدـ^(٧)ـ وـذـلـكـ كـالـثـلـاثـاتـ اوـ الـلـوـلـوفـ مـنـ الـرـوـاـيـاتـ الـتـيـ تـعـنـيـ بـالـشـؤـونـ الـطـبـيـةـ وـالـصـحـيـةـ وـالـتـجـارـيـةـ وـالـزـرـاعـيـةـ وـغـيـرـهـ ، فـاـنـهـ مـنـ شـاـنـ الشـارـعـ وـانـ لمـ تـكـنـ مـنـ وـظـيـفـتـهـ ، عـكـسـ الـثـلـاثـةـ الـأـوـلـيـ إـذـ كـانـ مـنـ وـظـيـفـتـهـ ، وـقـدـ سـبـقـ بـعـضـ الـكـلـامـ عـنـ ذـلـكـ وـتـفـصـيلـهـ فـيـ كـتـابـ (ـالـأـوـامـرـ الـمـوـلـوـيـةـ وـالـاـرـشـادـيـةـ)ـ فـرـاجـعـ

رجـحانـ الـاخـذـ بـقـولـ اـهـلـ الـخـيـرـ الـجـامـعـ لـلـشـرـائـطـ ، عـلـىـ غـيـرـهـ

ثـمـ اـنـ سـبـقـ فـيـ ضـمـنـ الدـلـلـ الـخـامـسـ عـلـيـ عـدـمـ صـحـةـ الرـجـوعـ لـلـفـقـيـهـ فـيـ مـبـادـيـ الـاستـنـبـاطـ ، فـهـلـ مـنـ وـظـيـفـةـ الـفـقـيـهـ بـمـاـ هـوـ فـقـيـهـ الـاجـتـهـادـ فـيـ الـعـلـمـ الـأـدـبـيـ ، أـوـ فـيـ الـعـلـمـ الـعـقـلـيـ :ـ كـالـكـلـامـ وـالـمـنـطـقـ ، أـوـ الـأـمـورـ الـحـسـيـةـ أـوـ التـجـرـيـبـةـ كـالـرـجـالـ وـمـاـ أـشـبـهـ ؟ـ فـقـدـ يـقـالـ لـاـ .

وـالـجـامـعـ :ـ اـنـ كـلـ مـاـ كـانـ الـجـهـتـهـ وـالـمـقـلـدـ فـيـ عـلـيـ حـدـ سـوـاءـ فـلـاـ يـرـجـعـ فـيـ الـعـامـيـ إـذـ لـاـ وـجـهـ لـهـ إـذـ لـاـ رـجـحانـ)^(٨).

وـالـجـوابـ :ـ اـمـاـ (ـالـوـظـيـفـةـ)ـ فـقـدـ سـبـقـ التـفـرـيقـ بـيـنـ (ـالـشـأـنـ)ـ وـ(ـالـوـظـيـفـةـ)ـ وـ(ـالـحـجـجـ)ـ وـ(ـالـوـظـيـفـةـ)ـ اـذـ لـاـ تـلـازـمـ بـيـنـ عـدـمـ كـوـنـ اـمـرـ وـظـيـفـةـ وـعـدـمـ كـوـنـهـ مـاـ

(١) - عـلـيـ اـنـ مـعـظـمـهـاـ مـنـ وـظـيـفـتـهـ كـمـاـ سـيـظـهـ.

(٢) - وـمـنـحـ اوـ مـعـذـرـ فـيـ بـعـضـهـاـ.

(٣) - كـفـيـدـ الـوـجـوبـ (ـالـاسـطـاعـةـ مـثـلـاـ).

(٤) - اـذـ حـدـدـهـاـ بـكـوـنـهـاـ مـنـ حـرـزـ ، فـيـ غـيرـ عـامـ مجـاعـةـ ، بـمـقـدـارـ رـبـعـ دـيـنـارـ ذـهـبـاـ خـالـصـاـ مـضـرـبـاـ بـسـكـةـ الـمـعـاـمـلـةـ فـصـاعـداـ ، اـلـيـ آـخـرـ الشـرـوـطـ الـتـيـ تـبـلـغـ (٤)ـ شـرـطاـ حـسـبـ اـحـصـاءـ السـيـدـ الـوـالـدـ (ـقـدـسـ سـرـهـ)ـ مـعـ اـنـ السـرـقـةـ اـعـمـ مـنـ ذـلـكـ عـرـفـاـ وـوـاقـعـاـ.

(٥) - فـانـ الـيـدـ فـيـ الـحـدـ فـيـ اـرـبـعـ اـصـابـعـ ، وـفـيـ الـوـضـوـءـ اـلـيـ الـرـفـقـ ، وـهـكـذـاـ.

(٦) - فـانـ الـبـلـوغـ الـشـرـعيـ بـعـلامـهـ نـسـبـتـهـ مـعـ الـبـلـوغـ الـعـرـفـيـ بـلـ وـالـطـيـ ، هـيـ مـنـ وـجـهـ.

(٧) - وـانـ نـاقـشـنـاـ فـيـ كـوـنـهـاـ كـلـهـاـ مـنـ (ـالـاـرـشـادـ)ـ حـسـبـ الضـابـطـ الـذـيـ اـخـتـرـنـاهـ لـلـمـوـلـوـيـةـ وـالـاـرـشـادـيـةـ ، لـكـنـ :ـ حـسـبـ الـمـشـهـورـ فـاـنـهـ -ـ غالـباـ -ـ اـرـشـادـيـةـ ، وـحـسـبـ مـاـ صـرـنـاـ اـلـيـهـ فـانـ بـعـضـهـاـ اـرـشـادـيـ ، فـتـدـبـرـ .

(٨) - رـاجـعـ الـدـرـسـ (٨٠)ـ مـنـ سـلـسلـةـ مـبـاحـثـ الـاجـتـهـادـ وـالـتـقـلـيدـ -ـ مـبـادـيـ الـاستـنـبـاطـ -ـ لـلـسـيـدـ الـاـسـتـاذـ .

من شأنه او عدم حجيته ، كما سيأتي ايضاً

اما (الرجحان) فالظاهر هو رجحان الرجوع للخبر في المبادئ المحتهنة في الفقه المؤمن العادل..الخ ، علي الرجوع في المبادئ الى الخبر غير المحتهنة او غير المؤمن او غير العادل او غير ظاهر المولد، فلو دار الامر بين الرجوع الي اهل خبرة صرفي او بلاغي او منطقى مؤمن عادل محتهنه، وبين الرجوع لغيره من اهل الخبرة في ذلك الفن، لكان الاول راجحا دون شك ظاهراً^(٩) ؛ وذلك لوجهين:

الوجه الاول : المصلحة السلوكية في الرجوع للخبر المحتهنة الجامع للشراط

فان الظاهر ان المصلحة السلوكية هي في الرجوع الي الجامع للشراط ويدل علي ذلك العقل والنقل :

اما العقل : فلا شك ان الرجوع للعادل المؤمن المحتهنة حتى في اللغة والصرف والبلاغة والرجال ، مما يؤكّد مرجعية المؤمن العادل^(١٠) عكس الرجوع للخبر الفاسق فانه يقوّي مرجعيته كذلك ، وان كان ذلك في الجملة لكنه يكفي حِكْمَةً للتشرعِ العام وحائطةً على الدين وتحفظاً على واحد من اهم اغراض المولى .

ياكميل : (لا تأخذ الا عننا تكون منا)

واما النقل: فالروايات كثيرة ونقتصر هنا على نقل احدها فقط، فمنها قول امير المؤمنين (عليه السلام):((ياكميل لا تأخذ الا عننا تكون منا))^(١١) والرواية مطلقة^(١٢) تشمل مبادئ الاستباط ؛ فان الآخذ المسألة الصرافية والبلاغية وغيرها منهم (عليهم السلام) اقرب اليهم من آخذها من غيرهم واحري^١ بأن يكون منهم (عليهم الصلاة والسلام) .

واعتبر ذلك بعكسه ؛ فان الاشياء تعرف باضدادها، فان من تعصّب للباطل – وهو على باطل – يأخذ حق المسألة البلاغية من امثال ابي حنيفة او ابي يوسف ، وهو بذلك يتمحض فيهم ، كذلك من تعصّب للحق – وهو على الحق – فانه بذلك يتمحض في اهل الحق.

ثم انه لو احتمل الانصراف لعلوم الشريعة ، او أدعى ، فانه لا شك انه غير مقطوع به بل غایة الامر انه محتمل او مستظہر، فيبقى الرجوع الى الجامع للشراط هو المحتمل للارجحية على اقل الفروض ، ولاشك ان محتمل الارجحية ارجح وان لم يكن متعيناً.

الوجه الثاني: الطريقة

ويمكن برهنة الطريقة عبر طرق ثلاثة:

أ- اقرية الاصابة في الجامع للشراط ، من غيره

الطريق الاول: ان يقال بان احتمال اصابة الخبر المحتهنة، اقوى من احتمال اصابة الخبر غير المحتهنة، وذلك لأنّه بالآيات والروايات الموجبة لاستقامة ذهنه وسلامة حده و استبانته في المبادئ؛ وذلك لوضوح ان الآيات والروايات هي القمة في البلاغة كما اهذا مبنية على الصحيح من قواعد النحو والصرف والمنطق وغيرها، ومن كان كثير الألفة بها والممارسة لها لاشك انه يكون بطبعه^(١٣) اقرب للبلاغة واعرف – ولو ارتکازياً – بالصحيح من القواعد او ما هو الاقرب للصحة منها، وكذلك الممارس المطلع على مختلف طعونات المقصومين ولعنهم للكثيرين^(١٤) او توثيقاهم للكثيرين ، اقرب لان تكون بيده ملائقات الجرح والتعديل حسب منهج اهل البيت (عليهم السلام) وطريقتهم من غيره .

والحاصل: ان فطرته التي شكلتها كثرة ممارسة الآيات والروايات تقوده للاستباط الاصوب من بين الاقوال المختلفة في اللغة والمنطق والرجال. ويشهد لذلك ان العرب الاقحاح اعرف بالبلاغة وأجدان لا يخطئوا في فهم نص او تطبيق قاعدة من غيرهم وان كان غيرهم اعلم – صناعة – منهم كما يشهد له ان الممارس لهج البلاغة اكثر من غيره، يكون يكون ابلغ وافصح من غيره. فتأمل.

لكن لا يخفى ان هذا الوجه خاص بشرط الاجتهاد في الفقه، لكنه غير مجدي لدعوى ان واحد سائر الشراط (كالعدالة وطهارة المولد والذكرة) هو

(٩)- مع فرض تساويهما في الخبروية

(١٠)- و ما يثبت كونه اسوة وقدوة اذ الناس يتأنرون بالمعلم ومن يأخذون منه عادة، حتى في سائر مناحي حياتهم.

(١١)- وسائل الشيعة -ج ٢٧ -ص ٣٠ -الرواية (٣٣١٣٣) وهي مروية في تحف العقول ، وفي بشارة المصطفى للطبرى بسنده فلاحظ

(١٢)- بل عامة ، اذ النكارة في سياق النفي او النهي تفيد العموم اذ التقدير (لا تأخذ شيئاً)

(١٣)- مما يسمى في هذا الزمن : باللاشعور او الوعي الباطن وانه آلياً واتوماتيكياً وبفطرته يكون اعرف من غير الممارس لكل ما لهم (عليهم السلام).

(١٤)- كما في الكثير من موارد لعن الامامين الصادقين(عليهما السلام) او الامام المنتظر(عجل الله تعالى فرجه الشريف) لبعض الشيعة او الواقفة او المخالفين او المرتددين او الملحدين

اقرب للاصابة، وللحديث صلة..

وصلی الله علی محمد وآلہ الطاہرین